4 – الفصل الرابع: المبادئ العامة واهم مناهج البحث في علم النفس النمو

4-1- أهم القوانين و المبادئ العامة لنمو:

4-1-1 -النمو يتضمن تغيرات كمية و كيفية:

ويعني هذا أن النمو يتضمن وجهين من التغير إحداهما يمثل الجانب البنائي او الكمي و الأخر يمثل الجانب الوظيفي او الكيفي. ومن الأمثلة التي تدل على نمو الكمي، نمو الأعضاء المختلفة و زيادة حجمها فمثلا يزداد حجم الجهاز الهضمي إلا ان هذه الزيادة في الحجم يتبعها تغير في الوظيفة.

4- 1-2 -النمو عملية مستمرة متدرجة و منتظمة:

إن النمو الإنساني السوي عملية دائمة متصلة منذ بدأ الإخصاب و الحمل حتى اكتمال النضج فإن كل مرحلة من مرحلة النمو تتوقف على ما قبلها و تؤثر فيما بعدها كما ان المرحلة السابقة تمهد للمرحلة اللاحقة و هذا يعني عدم وجود وقفات أو فجوات في عملية النمو العادي و لكن قد يكون هناك نمو كامن و نمو ظاهر فعلى سبيل المثال الأسنان التي تكونت في الشهر الرابع و الخامس تبدأ في ظهور في العام الأول.

4-1-3 -معادلات النمو غير ثابتة خلال المراحل المختلفة:

للنمو مظاهر مختلفة منها النمو الجسمي و العقلي و الإجتماعي و الإنفعالي و كلها مترابطة مع بعضها و مؤثرة في بعضها إلا ان معادلات النمو في إحداها لا يسير بنفس المعدل خلال المراحل التالية فمثلا معدل النمو الجسمي خلال مرحلة ما قبل الميلاد معدل سريع جدا أكثر منه في اي مرحلة أخرى.

4-1-4- النمو يسير وفق مراحل معينة و كل مرحلة لها سمات خاصة و مظاهر مميزة:

لكل مراهق خصائصه المميزة ، تكون الصفة الغالبة في هذا النمو هي النمو الحسي الحركي العضلي للجسم و العمل على تعلم المهارات الأساسية و إتقانها بينما تكون الصفة الغالبة في مرحلة المراهقة هي التوافق الإجتماعي مع الأفراد و المحيطين بالبيئة التي يعيش فيها الفرد.

4- 1-5 -النمو يتأثر بالظروف الداخلية و الخارجية:

من الظروف الداخلية التي تؤثر في النمو الأساس الوراثي للفرد الذي يحدد مظاهر النمو الجسمي و العقلي و الانفعالي و الاجتماعي فنقص إفرازات الغدة مثلا قد يؤدي إلى الضعف العقلي و من الظروف الخارجية التي تؤثر في النمو التغذية و النشاط الذي يتاح للطفل و الراحة وأساليب التعليم فنقص الغذاء مثلا يؤدي إلى أمراض سوء التغذية مما يعيق النمو.

4-1-6 -النمو عملية معقدة جميع مظاهره متداخلة:

نمو الإنسان عام و معقد و المظاهر الجزيئية فيه متداخلة مرتبطة فلا يمكن فهم اي مظهر من مظاهر النمو إلى عن طريق دراسته في علاقاته مع المظاهر الأخرى ، فالنمو الانفعالي مثلا يرتبط ارتباطا وثيقا بالنمو العقلي و الجسمي و الاجتماعي.

4- 1-7 - يخضع النمو لمبدأ الفروق الفردية:

يختلف الأفراد من حيث سرعة النمو كما وكيفا ، فالفروق مبدأ واضح في النمو الإنساني و أشارت كثير من الدراسات التي تناولت الطول و الوزن عند الأطفال وجود فروق فردية في معادلات النضج حتى ان الكثير من الأطفال يدخلون التعليم الأساسي عند سن السادسة غير ناضجين لبداية القراءة و الكتابة ، و فهم هذا المبدأ في غاية الأهمية عند الآباء و المعلمين و الاخصائين الاجتماعين لان الفشل في التعرف على هذه الفروق في معادلات النمو يمكن ان يكون مصدرا لسوء الفهم و الإرشاد الخاطئ.

4-1-8 - لكل عملية نمو مرحلة حرجة:

هذه المرحلة يكون فيها الطفل مهيئا لتعليم مهارات معينة فالطفل يتعلم الزحف في الشهر الخامس و يقف في الشهر العاشر تقريبا و يبدا السير عند تمام السنة و اذا ما تهيأت الظروف المناسبة للتعليم في الفترة الحرجة فإن نتائج هذا التعليم تكون مناسبة بعكس ما اذا تم التعليم مبكرا او في وقت متأخر عن الفترة الحرجة للمهارة فإنه في هذه الحالة ياتي بنتائج غير مرضية فالطفل الذي يتم تعليمة المشي في السن المبكرة قد تنحني عظام الساقين لديه تقوس.

4-1-9 - النمو يسير من العام إلى الخاص:

يسير النمو من العام إلى الخاص من الكل إلى الجزء ، فيستجيب الفرد في بادئ الأمر استجابة عامة ثم تتفرغ هذه الاستجابة و تصبح أكثر دقة فمثلا الطفل الصغير لكي يصل إلى شيء يأكله فانه يحرك كل جسمه في بادئ الأمر ثم اليدين ثم بيد واحدة.

4-1-10 - النمو يسير من الأعلى إلى الأسفل و من الداخل إلى الخارج:

يقصد بذلك الأجزاء العليا سبقبق السفلى حيث تنضج منطقة الرأس أولا ثم عضلات الذراع فالصدر فعضلات البطن ثم القدمين ، أما اتجاه النمو من الداخل إلى الخارج فيعني نمو عضلات الكتف أولا ثم الكوع ثم الرسغ ثم الأصابع.

4-1-11 – يمكن التنبؤ بالاتجاه العام للنمو:

من المميزات التي تميز ظاهرة النمو النفسي انه يمكن تنبؤ بحدوثه فنتوقعه و ننتظر حدوثه قبل ان يحدث فنحن نتوقع في وقت معين زحف الطفل كما نتوقع وقوفه ثم قدرهعلى المشي في مرحلة معينة نتوقع ظهور بعض علامات التي تدل على البلوغ و يتمشى مبدأ التنبؤ باتجاه النمو فأهداف علم نفس النمو فهم و ضبط و التحكم في الظواهر الإنمائية و كذلك التنبؤ بها.

4-2 – مناهج البحث في علم نفس النمو:

تعتبر المناهج و الطرق العلمية للبحث ضرورية لبناء أساس سليم لنمو العلم، و لقد تقدمت مناهج و طرق البحث في علم نفس النمو في مراحله المتتابعة و أصبحت الآن أكثر علمية، و تهدف إلى الوصول إلى حقائق و قوانين و نظريات راسخة في علم نفس النمو.

ولا يوجد منهج واحد صالح لدراسة كل مظاهر النمو بل يختلف منهج الدراسة و طريقته حسب الموضوع، لذلك من الضروري الإحاطة بأهم مناهج البحث في هذا العلم و هي :

1- المنهج التجريبي:

يعتبر أدق المناهج و أفضلها و ذلك لسببين رئيسين هم:

-أنه أقرب المناهج إلى الموضوعية عكس بعض المناهج التي تتصف بدرجة عالية من الذاتية.

-يستطيع الباحث الذي يتبع المنهج التجريبي السيطرة و التحكم في العوامل المختلفة التي يمكن ان تؤثر على الظاهرة السلوكية.

والباحث الذي يستخدم المنهج التجريبي لا يقتصر على مجرد وصف الظواهر التي تتناولها دراستهن و إنما يدرس متغيرات هذه الظاهرة و يحدث في بعضها تغييرا مقصودا و يتحكم في متغيرات أخرى ليتوصل الى العلاقات السببية بين هذه المتغيرات.

وتسير الدراسة في هذا المنهج وفق التسلسل: ظاهرة، هدف، فروض، تجربة، نتائج، حقائق، قوانين نظرية.

*الظاهرة: تدور الدراسة حول ظاهرة من ظواهر النمو يدور حولها سؤال أو مشكلة تتحدى تفكير الباحث و تدعوه إلى حلها و تعتبر المشكلة سؤال يحتاج إلى جواب مثلا: ظاهرة جناح الأحداث.

*تحديد المشكلة: يحدد الباحث المشكلة على أساس تعريف و بلورة الظاهرة بوضوح و تجميع علامات الاستفهام المحيطة بالظاهرة، مثلا: ما هي الأسباب الحقيقية لظاهرة جناح الأحداث؟

*تبيان الهدف: و عادة ما تكون أهداف البحث العلمي في مجال علم نفس النمو و علم النفس العام هي: التفسير، التنبؤ الضبط.

*فرض الفروض: الفرض عبارة عن تفسير محتمل أو إجابة مؤقتة لإشكالية يضعها الباحث و تكون قابلة للتحقق أو الرفض بعد التجريب .

*التجربة: يقوم بها الباحث هادفا إلى تحقيق فروضه كلها أو بعضها أو رفضها كلها أو بعضها، و يشترط إن تكون التجربة موضوعية و دقيقة و يقوم الباحث فيها بالتجريب على عينة تجريبية ممثلة لمجتمع أصلي بمعنى أن لها نفس خصائصه قبل تعميم النتائج النهائي.

*نتائج البحث: و هي ما يتم التوصل إليه بعد تحليل البيانات و تفسيرها ثم صياغة القوانين و على أساسها يضع الباحث نظرية حول الظاهرة التي عالجها بالدراسة .

2-المنهج الوصفي :

يتناول المنهج الوصفي الظواهر النفسية كالخوف، الغضب، القلق، الإنطوائية و التوتر، كما يتناول دراسة التاريخ التطوري لبعض مظاهر النمو في مختلف مجالاته، و تتم الدراسة الو صفية بطريقتين هما:

3-الطريقة الطولية:

وفي هذه الطريقة يتبع الباحث الظاهرة النمائية عبر الزمن، فلو كان الباحث ينظر في النمو اللغوي لدى طفل من الميلاد إلى خمس سنوات، فإن عليه ملاحظة نمه اللغوي طوال هذه الفترة.

وتنطبق هذه الطريقة على عينات صغيرة جدا قد تصل إلى فرد واحد و تتطلب مزيدا من الوقت و الجهد و الصبر، لكن النتائج في الغالب يصعب تعميمها.

4- الطريقة العرضية:

ويحاول الباحث استخدام هذه الطريقة توفيرا للوقت و الجهد، و ذلك من خلال تقسيم الفترة الزمنية المراد تتبع الظاهرة عبرها إلى فترات عمرية يحددها الباحث ثم يأخذ عينات كبيرة كل عينة منها تغطي فترة عمرية فرعية ثم يحسب المتوسط الحسابي لمعدل وجود الظاهرة في كل فئة ليصل في النهاية إلى استخراج متوسطات كل فئة عمرية من الفئات التي حددها الباحث لتمثل المرحلة الكلية المراد

تتبع نمو الظاهرة عبرها.

و أخيرا ينتظر من الباحث أن يقدم أوصافا دقيقة للظاهرة على شكل جداول النمو تصبح معايير للظاهرة المدروسة يمكن تطبيقها على أفراد آخرين، إضافة لذلك ينتظر من الباحث الوصفي أن يكشف عن المتغيرات أو العوامل ذات العلاقة بالظاهرة و نوعية العلاقات الوظيفية لهذه المتغيرات بالنسبة للظاهرة موضوع الدراسة.